

والوثنية ، يعبد الشمس والقمر والنجوم ، بل يعبد الأحجار والأشجار والحيوان ، ولا يتمتع بلذة المعرفة وإدراك الحقائق ، ولا تتصل روحه ، ولا يسمو عقله إلى خالق هذا الكون المجيب ، ولا يمتد تفكيره إلا إلى ما بين يديه كأنه واحد من هذه الحيوانات التي تعيش بها الأرض لا يمتاز عنها كثيرا !

وكان الإنسان أيضا فريسة هينة مستسلمة لعوامل الشر والفساد التي تتمثل في ضعفه وعجزه ، وتتمثل في تسخير الأقوياء للضعفاء ، وتتمثل في ظلم الرعاة والملكين ، وتتمثل في البهيمة الحقارة التي لا تعرف حدودا ، ولا تهدف إلى غرض ، وتتمثل في الانحلال والتخبط والارتجال في كل ناحية من نواحي الحياة ! وكان الإنسان محروما من إدراك الجمال والتمتع بلذته : فالقانون قانون القوة كما هو الشأن بين وحوش الغابة ، وليس للأخلاق موازين ، ولا لافضائل مقاييس ، ولا للشرف قيمة ، ولا للحياة مثل تحتذى أو تراد .

وما لهذا خلق الإنسان ، ولا بهذا استحق خلافة الله في الأرض ، ولا لهذا استحق بنو آدم التكريم على سائر ما خلق الله !

فلم يكن بد من « هداية السماء » تكفله وتهديه وتقرب له السبيل ، وترسم له الصراط المستقيم ، وتخرجه من الظلمات إلى النور ، وبذلك كانت الرسائل الإلهية التي تطورت وتركزت وانتهت إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وختمت بها كآخر قانون سماوي ضمن له الحفظ والبقاء ، وألا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا مجرد أن ذلك هو ما قضت به الإرادة الإلهية ، ولكن لأنه القانون الذي أتى وفقا للطبيعة ، وزود من المبادئ بما يجعله صالحا لكل زمان ومكان ، وبما يجعله قابلا لكل خير وسلاح تجود به العقول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين !

ترى ماذا كان يتطور إليه الإنسان لو لم يجد بهداية السماء ؟ لا شك أنه كان سيرف ببعض صور الواقع الصحيح ، وبعض نواحي الخير ، ويدرك بعض أسرار الجمال ، ولكن إلى أي حد ؟ وبمدى من القرون والعهود ؟ اعتقد أن « الهداية الإلهية »

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُهُ
لِلْمُسْلِمِيْنَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



للإنسانية أهداف ثلاثة إذا وصلت إليها وحققها فقد وصلت إلى القمة ، وحقت خلافة الله في الأرض كما أرادها الله . هذه الأهداف الثلاثة هي : الحق ، والخير ، والجمال . وكل واحد منهما ضروري مادامنا نريد السعادة الشاملة

للجنس البشري ، وننشد الكمال الذي به يكون الإنسان إنسانا . ولقد مضى على الإنسان قرون وآماد كان فيها فريسة الجهل

ليصدقوا رسول الله في خبره ، فأنتم اليوم أشعثات مبثرون في جنبات الأرض ، وليريدنكم رؤسكم فُرقةً وشتاتا ، فإذا جاء ذلك اليوم فدخلتم علينا أرضنا وعلامكم في حيث يشاء الله منها ، فلكي تم فيكم كلمة الله وليعذبكم وليستأصل شأفتكم من أرضه ، وتكونوا عبرة للطاغين من أمثالكم ، فقد قال الصادق المصدق رسول الله : « تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم حتى يقول المجبر : يا مسلم ! هذا يهودي ورأى فاقته » ، فوالله ليكون ذلك كما أراد الله ، ويومئذ يعض طغائنكم وطواغيتكم أطراف البنان من الندم ، فالعربُ هي ما علمت يا ابن الحارث لا ينأى نازها ولا يُخْطَم أنفها بخطام .

(قال عمر) قلت : يا أبا عبد الرحمن ! وإن ذلك لكان ؟ قال : يا بني ، ما على بالغيث ! ولكنه إذا جاء فليقتضين الله بيننا قضاءه ، ويكون يومئذ فناؤهم على أيدينا ، فأمر المسلمين إلى ظهور ، وأمر يهود إلى حكم الله الذي ضرب عليهم الذلة والمسكنة إلا يجمل من الله وحبل من الناس . والله يحكم لا معقب لحكمه .

محمد حمزة شاكر

إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجملناه سميماً بصيراً ،
إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » .

فهذه الآية تشير إلى الحقب المتطاولة التي مرت بالإنسان وهو
في طور الخمول وغمرة الجهالة حتى جاز أن يوصف بهذا الوصف
البليغ ، فينفى عنه أنه شيء في هذا الوجود يستحق الذكر !

والإنسان هو عماد هذه الأرض ، وهو خليفة الله فيها ، وهو
أكرم من فيها على الله ، فإذا وصف من هذا شأنه بأنه لم يكن
شيئاً مذكوراً ، فلا بد أن يكون هذا الوصف تعبيراً عن حالة من
الخمول والضعف والتفاهة — لا أقول وصلت به إلى مرتبة الحيوان
فإن الحيوان على كل حال شيء مذكور — ولكن أقول : إنه
كان أسوأ حالاً من الحيوان وأبعد وأوغل في الضلال والتخدير !
ثم تذكر الآية بعد ذلك خلق الإنسان وأصله ، والغاية من
هذا الخلق ، وما ركب فيه من استمداد فطري له أدوات ظاهرة
من الحواس كالسمع والبصر — سواء أكان المراد بهما هاتان
الحاستان الساديتان أم كان مراداً بهما الاستمداد الفطري للتقبل
والفهم والإدراك عامة — وتردف الآية ذلك بنعمة الله عليه في
الهداية إلى السبيل ، والإرشاد إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ،
وبذر بذور المعرفة والعلم في محيطه ، ينتفع بها من ينتفع ، ويزور
عنها من يزور ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن
بينة » إما شاكراً وإما كفوراً » ذلك بأنه لا يوصف بالشكر
ولا بالكفران إلا من علم .

وكأن بالآية الكريمة حيث ذكرت هذه المعاني الثلاثة في
طراد واحد — فلفتت إلى حالة الإنسان في طور جهالته وضوئوته
ثم أتيتمتها بخلقه واستمداده الذي هياه الله عليه ، ثم ذكرت بعد
ذلك الهداية والإرشاد — كأن بها قد ذكرت ذلك على هذا
النحو ؛ تلح إلى أن اعتماد الإنسان على هداية الله وإرشاده ليس
بأقل من اعتماده عليه في خلقه ، وفي استمداده الوجود منه ،
فكما لا يوجد الإنسان بدون موجد ، ولا يخلق إلا من الخالق ؛
كذلك لا يهتدى بدون هاد ، ولا يرشد بدون مرشد ، ولا يتعلم
بدون معلم !

من هنا يجب أن يعترف الإنسان وأن يكون خاشعاً في هذا
الاعتراف ، بالهداية الإلهية ، كما هو خاضع خاشع في اعترافه بالخلق

قد عجبت على الأقل إلى حد بعيد ، وبعيد جداً ، بهذيب الإنسان
وتطويره ، وأن المبادئ التي اشتملت عليها الشرائع عامة كانت
بمثابة بذور غرست فأنبئت وما زالت تثبت وتؤثر في الغذاء الفكري
للإنسان تأثيراً عميقاً ، سواء أحس الإنسان بذلك أم لم يحس ،
نعم قد يظن الإنسان أنه وصل إلى ما وصل إليه من الرقي بعقله
وأنه لو لم تكن الأديان لكان العقل ديناً وهادياً — وقد قال
بذلك فعلاً بعض فرق المسلمين — ولكن ما هي مقاييس العقل
وهل كان العقل — إذا لم يلقح بهذه اللقاحات السماوية — يعضي
قدماً في الطريق المستقيم لا يضل ولا يشقى ؟ إنني لفي شك من ذلك
وينبغي أن يكون ذلك موضع شك ، فنحن نرى الأمم البدائية
أو المنزلة تقيم القرون والعهود في عزلتها ، وهي على ما هي عليه
في أفكارها وعاداتها وتقاليدها ونظورها إلى الأشياء وإدراكها
للمعاني دون أن تتطور ، ودون أن تتحرك ، ودون أن تثبت
فيها نابتة من عقل أو أنارة من علم ، إلا إذا جاءها ذلك من
خارجها ، كأن يتصل بها قوم آخرون ، أو يرحل عنها بعض
أبنائها ثم يعود إليها ، أو نحو ذلك . ويومئذ تبدأ في تفكير
جديد ، وتنظر إلى ما هي فيه ، فتمرضه على العقل وتناقشه ،
وتختلف فيه خلافاً شديداً ، وينتهي أمرها بأن تأخذ منه وتدع
وتعدل فيه وتقوم ، فربما تطورت وتطور التفكير العقلي فيها ،
وتطورت أساليب حياتها على نحو جديد ، وما ذلك إلا لأن
اللقاح فعل فله ، وأثر آثاره ، وإن لم يدرك الإنسان في أثناء
هذا التفاعل أنه حاصل واقع ماض في سبيله موف على غايته !

بهذا نستطيع أن نقيس حالة البشرية عامة لولم تعد الأرض
بهداية السماء . لأنها تكون في غيابة من الجهل وضلال من التخبط
وتظل فيهما ، وإن تلونا بألوان متعددة ، الحقب الطوال ، والأزمان
الترامية والدهور المتعاقبة ، وهبتا سلمنا أنها تتحرر من هذا الجهل
شيئاً بعد شيء عن طريق الصدفة ، أو التفكير العقلي فإن ذلك
يحتاج — والفرض أنه لا مدد من الهداية والنور — إلى أحقاب
وربما انتضى عمر الإنسان على هذه الأرض دون أن يصل إلى
الغاية الحميدة التي أرادها الله له !

وأحب أن نلفت في هذا المعنى إلى آية كريمة في كتاب الله
تقول « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً »

أين هذه النظم من نظام الإله السميع العليم ، المئزّه عن الأغراض والأخطاء ، الذى ينظر إلى عباده جميعا نظرة العدل والرحمة والمساواة ؟

أما بعد !

فقد وضح أن العقل وحده غير كاف - حتى فى عهد الحضارة والرق الفكرى - للأخذ بيد الإنسانية وتحقيق أهدافها من الحق والخير والجمال ، وأنه لابد من الهداية الإلهية لتوسيع آفاق هذا العقل ، ولكفالة استقامته ، وضبط تفكيره والحد من طغيانه !

بذلك ، وبذلك وحده ، يصل الإنسان فى هذه الحياة ، إلى الغاية التى أرادها الله .

محمد محمد الحرنى

للدروس بكلية الشريعة

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

الناقصات العامة

إعلان مناقصة

تقدم المطاوعات بمنوات حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد بشارع الفلكى بالقاهرة بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لنهاية الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس الموافق ٩ يناير سنة ٩٤٧ عن توريد عدد وأدوات للمدارس اريفية المبسطة لعام ٩٤٦ / ٩٤٧ ويمكن الحصول على شروط وقائع المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكى بالقاهرة نظير دفع ١٠٠ مليم .

٦٥٤٥

والتكوين ويجب ألا يفر عقله ، ولا تسر له علومه ومعارفه أمرا مهما بلغ منها ، فيتردد فى الاعتراف بأنه محدود ، وبأنه محتاج ، وبأنه موضع فضل إلهى ، وفيض ربانى ، بهما قوامه ربهما عقله ، وبهما سموه عن كل ما خلق الله فى هذا الوجود ، ولولاهما ما كان ، ولولاهما ما صار شيئا مذكورا !!

وناحية أخرى تتصل بهذا البحث : ذلك بأن العقول تتفاوت وتتضارب ، ويرى بعضها الشيء حسنا بينما يراه الآخر قبيحا ، وهذه قضية يثبتها الواقع ، ولا يجادل فيها متصل بالحياة ! وإنما كان ذلك لاختلاف أسباب العلم واختلاف وسائل العلم ، واختلاف الأمزجة والأهواء والبيئات ، واختلاف المصيبات والجنسيات ، وميل الإنسان بطبيعته إلى الاعتز ب نفسه ، والاعتداد برأيه ، وتنفيذ فكرته ، وفرضها على من سواه فرضا لا يخضع للنطق ولا للعقل ، ولكن يعتمد على السلطان والنفوذ والقوة الذاتية ، فإذا ترك الناس يشرعون لأنفسهم ، ويضمون المثل لتفكيرهم وثقافتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم فإنهم لا شك متأثرون بما أوجعنا من عوامل الشهوة والزواج والبيئة والسلطان ، ولا يستطيعون أن يتحرروا منها مهما بلغوا من العلم والحضارة ، لأنها طبيعية تتغلب على كل ما سواها ، وإن استترت فإنما تستتر فى الظاهر ، وهى تعمل عملها فى الخفاء ملحمة مثابة لا يثنى شئ من الأشياء :

ومن هنا رأينا الأمم الحديثة يمتنق كل منها فكرة ويجعلها مذهبا له فى الحياة ، ويحاول حل الناس عليها تارة بالقوة ، وتارة بالدعاية . فهذه نازية ، وهذه فاشية ، وهذه اشتراكية ، وهذه شيوعية ، وهذه ديمقراطية وهكذا . وكل هذه أوضاع إنسانية متأثرة بما يتأثر به الإنسان عادة . وليس أصحابها وراضوها من الملائكة المقربين ، ولا من القديسين المزهين عن الأغراض والنزعات ، ولذلك اختلفت ، وتمازكت عليها ، واحتاجوا إلى القوة فى حمايتها ، فلما تحلت القوة عن بعضها انهار وأصبح فى عداد الذكريات التاريخية ، ولو كان حقا وخيرا لبقى وصار الجميع إليه متفاهمين «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض» .